

نَقْلًا مِّنْهَا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان لعلماء الأصول أثر كبير في تطور البحث اللساني عند العرب خاصة والمسلمين عامة بما أبدعوه في باب مباحث الألفاظ من آراء سديدة تدل على علو همتهم وطول باعهم في هذا المجال فكان الدليل اللفظي أحد أهم الأسس التي اتكؤوا عليها للوصول إلى الحكم الشرعي من النصوص المقدسة ومنها القرآن الكريم أساس التشريع عند المسلمين، وسنة النبي المصطفى ﷺ، والروايات المقدسة التي جاءت من المعصوم عليهما السلام، والملاحظ أن ما التفت إليه الأصوليون وما بثوه من آراء وإن كانوا غير متخصصين باللغة وعلومها إلا أنهم قد فاقوا أهل اللغة، فكان بحثهم الدلالي أعمق وأدق من بحث علماء اللغة، وهذا ليس بغريب، فعلم اللغة في أول نشأتها كانت على يد القراء ورواة الحديث فمنهم عرفت أحكام القرآن، وما هذا الكتاب الموسوم بـ(البحث اللساني عند العلامة الحلي) (ت ٧٢٦هـ) في كتابه «نهاية الوصول إلى علم الأصول» إلا دليل قاطع على أن علماء الأصول كانوا أكثر دقة وأشد صرامة من أهل اللغة أنفسهم في

الكشف عن الدلالة الحقيقية للألفاظ، والعجيب أن هذا النوع من الدراسات لم تسلط الجامعات الضوء عليه، ولم يكتب عنه الدارسون إلى مدة متأخرة، ولا سيما أن مدرسة الحلة انمازت بكثرة التأليف في هذا العلم، ولم يُحقّق من نتائجهم إلا القليل.

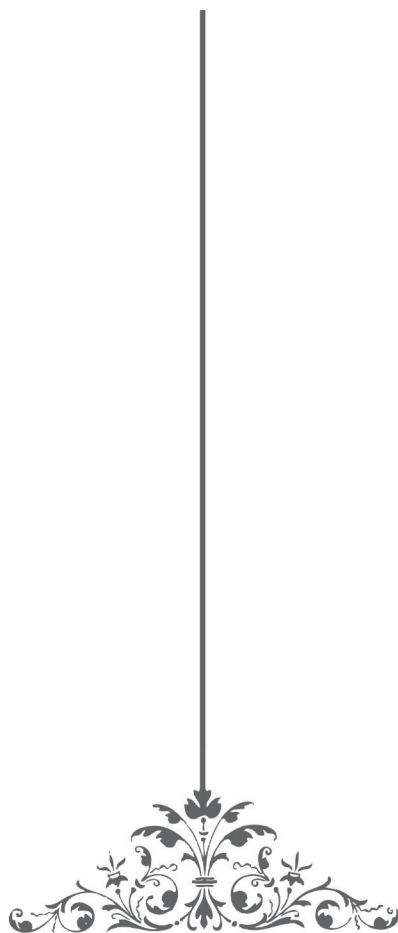
وحاولت المؤلفة في كتابها هذا أن تكشف مزايا النصوص القديمة والدراسات التي تركوها لنا بطريقة معاصرة للربط بين القديم والحديث واستكشاف العلاقات الفكرية بينها فاتخذت العلامة الحليّ أنموذجاً تكشف به عن مرحلة فكرية شغل فيها العلامة الحليّ حيزاً واسعاً من الدراسات فقد بثّ في ذلك العصر البعيد أفكاره التي كانت مثار جدل ومناقشة ليس عند أهل مذهبه فحسب وإنما شغل علماء المذاهب الأخر، وما يدل هذا إلا على رجاحة آرائه بشهادة خصومه إذ كانت له منزلة لم ينلها إلا ذو حظ عظيم، فكان يلقب بالعلامة الحليّ، وعندما يطلق لقب العلامة لا ينصرف الذهن إلا إليه، فكان فريداً عصره بحق، ولم تحظ آراؤه بالاهتمام والدراسة، ولا سيما اللغوية منها بدراسة أكاديمية متخصصة تبين أهميتها وأصالتها وجدّتها.

وتناولت الباحثة المنهج الذي اتبعه العلامة في تأليف كتابه (نهاية الوصول إلى علم الأصول) بالدراسة والتحقيق، وذكرت فيه أهم ما جاء فيه، ثم سلّطت الضوء على النظرية التواصلية عند العلامة الحليّ، وفي موضع آخر تناولت محوراً دلائياً مهماً عني به الأصوليون أيّما عناية ألا وهو العموم والخصوص.

تقديم ١٥

ولا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لسماحة المتولي الشرعي
للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) وسماحة السيد
جعفر الموسوي (دام توفيقه) الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة اللذين لم
يألوا جهداً في تقديم الدعم المبارك لإخراج التراث الحلي بأبهى صوره.
وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربَّ العالمينَ.

مركز العلامة الحلي
إحياء تراث حوزة الخلة العلمية
الخلة المستنصرية



الْمَقْدَرَةُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الخلق أجمعين وخاتم
الرسل والنبين أبي القاسم محمّد النبيّ الأمين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه
الغرّ المنتجبين.

أمّا بعد...

فقد كان للأصوليين الأثر البين الأكيد في الدراسات اللّغويّة، إذ عُتوا
بمباحث الدليل اللّفظي؛ لأنّها المساعد والمعين لهم في استنباط الأحكام
الشرعيّة والحقّ أنّ اهتمامهم باللّغة لم يكن هدفه اللّغة نفسها، بل كان الهدف
من ورائه الوصول إلى الاستنباط السليم للحكم الشرعيّ عن طريق الفهم
الصحيح للنصوص القرآنيّة الكريمة أو الأحاديث النبويّة الشريفة، فجاءت
بحوثهم الدلاليّة أعمق من بحوث اللّغويين أنفسهم، وبناءً على ذلك فقد صار
لزماً على الباحثين والدارسين في الميدان اللّغويّ الجامعيّ أن يولوا الأصوليين
مزيد عناية واهتمام، ولا سيما علماء الإماميّة الذين لم يدرسوا من قبل دراسة
جامعيّة تتناول آثارهم، وبحوثهم اللّغويّة في هذا المجال، وما هذا الكتاب إلّا
دعوة تنطلق من أفق علميّ رحب ينادي بخلق نظريّة معرفيّة إنسانيّة متكاملة،

٢٠.....البَحْثُ اللِّسَانِيُّ عِنْدَ الْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ

فوصل الأصوليين عمومًا بالدرس اللساني المعاصر هدفه الرئيس خلق تلك النظرية المعرفية المتكاملة. وقد وقع بعض الدارسين في هذا المضمار في إفراط أو تفريط، فإما أن يعظم التراث ويترك الدرس اللساني المعاصر من دون ذكر لمنجزاته، أو أن يعظم الدرس اللساني المعاصر وينغمس فيه ويترك ذلك التراث الشر جانبًا. إن مهمة الباحث الموضوعي أن يأخذ المعلومة الدقيقة والصحيحة من منبعها السليم أيًا كان ذلك المنبع.

ونحن إذ نتحدث عن أصوليي الإمامية فإنه لا يخفى على أحد أننا نتحدث عن قامة شاخه منهم هو العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، ذلك العلم الذي يشهد له خصومه ومعارضوه بأنه علامة عصره، وشيخ الطائفة، وإن لهذا العالم الفاضل منزلة علمية ودينية انماز بها من معاصريه، فخرج بآراء أصولية وفقهية عُدَّت من أهم ما قيل في الساحة العقائدية.

فكان اختيار الموضوع بسبب المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي يتمتع بها هذا العالم؛ ولكي تخرج آراؤه من نطاق الدرس الحوزوي إلى نطاق الدرس اللغوي الجامعي، فقد كان من الضروري أن تحظى آراؤه بدراسة متخصصة في هذا الباب.

وقد درس أحد الباحثين أفكار العلامة العقائدية والكلامية في رسالتين جامعتين اختصتا بفلسفة الإلهيات، وهما:

(أ) بيان النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي (ت

٧٢٦هـ)، للباحث حسين علي الحسيني، رسالة ماجستير في الفلسفة والإلهيات.
ب) الإمامة في فكر العلامة، للباحث حسين علي الحسيني، أطروحة
دكتوراه في الفلسفة والإلهيات.

أمّا أفكار العلامة وآراؤه اللغويّة فلم تحظَ بالعناية والدرس من قبل.
وقد اقتضت مادة الموضوع أن يشتمل البحث على تمهيد، وأربعة فصول،
وخاتمة موجزة عرضت فيها أهم نتائج البحث.

وقد احتوى التمهيد على محورين رئيسين، غني الأول بتناول حياة العلامة
الحلي الشخصية، والعلمية مع ذكر لمؤلفاته، وشيوخه وتلامذته، وأودّ الإشارة
هنا إلى أنّي لم أطل الوقوف عند هذا الجانب، بل جاءت المادة فيه مقصورة على
أهم التفاصيل في حياة العلامة وإنجازاته المعرفية.

أمّا الثاني، فقد تناولت فيه المنهج الذي اتبعه العلامة في تأليف كتاب (نهاية
الوصول إلى علم الأصول)، فذكرت فيه أهم ما جاء في هذا الكتاب.
درستُ في الفصل الأول ماهية اللغة، فخرج الفصل بمباحث ثلاثة؛
اختصّ المبحث الأول بحدّ اللغة، والثاني بعلاقة اللغة بأنظمة التواصل
الأخرى، والثالث بحقيقة الوضع.

ودرستُ في الفصل الثاني النظرية التواصلية عند العلامة الحلي، فقسّم
على أساس هذه النظرية على خمسة مباحث هي: المرسل، والمتلقي، والرسالة
اللغوية، والقانون، والوظيفة التواصلية للعلامة اللغوية.

أمّا الفصل الثالث فقد درست فيه اللغة بوصفها ممارسة دلالية، واقتضت

مادّة الفصل أنّ أقسمه على ثلاثة مباحث؛ اختصّ الأول بالمحاور الدلاليّة النظرية، والثاني بالدلالة المفردة والدلالة المركبة، والثالث بالمحاور الدلاليّة التطبيقية التي قُسمت هي الأخرى على محاور؛ هي: الحقيقة والمجاز، المجمل والمفصل، الظاهر والمؤول، المطلق والمقيّد، المشترك والمتواطئ، وأخيراً المترادف والموكّد.

أمّا الفصل الرابع، فتناولت فيه محوراً مهماً غني به الأصوليون أيّما عناية ألاّ وهو العموم والخصوص، فكان الفصل على ثلاثة مباحث هي: دلالة العام، ودلالة الخاص، ومخصّصات العام بالخاص.

ولما كانت مادّة البحث تتسم بالتنوع فقد كان لزاماً عليّ الرجوع إلى مصادر ومراجع متعددة منها مصادر أصوليّة لأصوليّ مذهب أخرى، ومنها مصادر ومراجع لغويّة قديمة وحديثة، ومراجع لسانیّة معاصرة.

وأودّ أن أقول إنّني قد بذلت في إتمام هذا الكتاب ما استطعت من جهد وإخلاص، فإن أصبت فهذا من الله وفضله، وهو ما أطمح إليه، وإن أخطأت فمن عندي. والله من وراء القصد وهو وليّ بالتوفيق.

وقد تفضل مركز العلامة الحلي رحمته الله لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية وعمارة مشاهداها التابع للعتبة الحسينية المقدسة بتولي طباعة هذا الكتاب ليكون بين يدي الباحثين، أسأل الله لهم التوفيق والسداد، إنّه قريبٌ مجيبٌ.